لا حشو له وانه الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء ونحو هذه العبارات المتقاربة
في المعنى وروي ذلك عن ابن مسعود وقد سبق في حديث ابي هريرة المذكور في اول تفسير
السورة والصمد الذي ليس باجوف وروي عن ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق عبيد الله بن
سعيد قائد الاعمش حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال لا اعلم الا
انه قد رفعه قال الصمد الذي لا جوف له وعن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد
الذي ليس له احشاء وروي عن ابن عباس ايضا وعن عكرمة الصمد الذي لا يطعم وعنه
الصمد الذي لم يخرج منه شيء وعن الشعبي الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب وعن مجاهد
هو المصمت الذي لا جوف له وقالت طائفة الصمد الذي لم يلد ولم يولد كأنهم
جعلوا ما بعده تفسيرا له وهو مما تقدم انه الذي لم ينفصل منه شيء وروي عن
ابي بن كعب والربيع ابن انس وتوجيه ذلك ان الولادة والتوليد انما يكون من
اصلين وما كان عينا قائما بنفسه من المتولدات فلا بد له من مادة تخرج منها و
ما كان عرضا قائما بغيره فلا بد له من محل تقوم به فالاول نفاه بقوله لم يلد والثاني
هو الذي لا كفء له ولا نظير فيمتنع ان يكون له صاحبة والتوليد انما يكون
بين شيئين وكونه تعالى احدا ليس احد كفوا له وايضا فالتوليد يحتاج الى زوجة وهي
مكافئة له من وجه من وجه وذلك ايضا ممتنع ولهذا قال انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة وقد فسر بعضهم الكفء ها هنا بالصاحبة والثاني وهو انفصال المادة
ففناه سبحانه بانه الصمد وهذا المتولد من اصلين ربما يتكون من جزئين ينفصلان
من الاصلين كتولد الحيوان من ابيه وامه بالمني الذي ينفصل منهما وكالنار المتولدة
من بين الزندين سواء كانا خشبين او حجرين او حجر وحديدا وهو سبحانه صمد لا يخرج
منه شيء منفصل عنه والحيوان نوعان متوالد وهو ما ولده من جنسه وهو
الانسان وما يخلق من ابوين من البهائم والطير وغيرهما ومتولد وهو ما يخلق من
غير جنسه كدود الفاكهة والخل وكالنمل المتولد من الوسخ والفار والبراغيث و
غير ذلك مما يخلق من التراب والماء وانما يتولد من اصلين ايضا كما خلق آدم من
تراب وماء والا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ما لا يخلق منه بشر لا حيوان و
لا نبات والنبات جميعه انما يتولد من اصلين ايضا والمسيح خلق من مريم ونفخة جبريل
وهي حملت به كما تحمل النساء وولدته فلهذا يقال له ابن مريم بخلاف صوفه فانها خلقت
من ضلع آدم فلا يقال انها ابوها ولا هي ولده وكذلك سائر المتولدات من غيرهما
كما ان آدم لا يقال انه ولد التراب ولا الطين والمتولد من جنسه اكمل من المتولد
من غير

من غير جنسه ولهذا كان خلق آدم اعجب من خلق اولاده فاذا نزه الرب عن المادة
العالي وهي المتولد من النظير فتنزيه عن المادة المتولد من غير النظير اولى كما ان
تنزيهه عن الكفء تنزيه له عن ان يكون غيره افضل منه بطريق الاولى فتبين
ان ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها لا يكون الا من مادة يخرج
من ذلك الوالد ولا تكون الا من اصلين والرب تعالى صمد فيمتنع ان يخرج منه شيء وهو
سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع ان يكون له ولد والمتولد الاعراض كتولد
الشعاع وتولد العلم عن القدرة والشبع عن الاكل والحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا
ليس من تولد الاعيان مع ان هذا لا بد له من محل ولا بد له من اصلين كالشعاع فانه يحتاج
الى محاذات جسم نوري لجسم آخر يقابله فينعكس عليه شعاعه وتضمنت هذه
السورة العظيمة نفي نوعين عن الله احدهما المماثلة ودل على نفيها قوله تعالى
ولم يكن له كفوا احد مع دلالة قوله قل هو الله احد على ذلك لان احديته تقتضي
انه متفرد بذاته وصفاته فلا يشاركه في ذلك احد والثاني النقائص والعيوب
وقد نفي منها المتولد من الطرفين وتضمنت اثبات جميع صفات الكمال باثبات
الاحدية والصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص والاحد يثبت الانفراد بذلك
فان الاحد يقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته والصمدية
اثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقدمها فان السيد الذي يصمد اليه لا يكون الا
متصفا بجميع صفات الكمال التي استحق ان يكون لاجلها صمدا وانه لم يزل كذلك و
لا يزال فان صمديته من لوازم ذاته لا ينفك عنه بحال ومن هنا فسر الصمد بالسيد الذي
قد انتهى سودده وفسره عكرمة بالذي ليس فوقه احد وروي عن علي وعن كعب انه
الذي لا يكافيه احد في خلقه وعن ابي هريرة قال هو المستغني عن كل احد المحتاج اليه
كل احد وعن سعيد بن جبير قال هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وعن الربيع قال
هو الذي لا تعتريه الآفات وعن مقاتل بن حيان قال هو الذي لا عيب فيه وعن ابن
كيسان هو الذي لا يوصف بصفة احد وعن قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وعن مجاهد
ونعم هو الدائم وعن معمر الصمد الحي هو الذي لا يبلى ولا يفنى وعند ايضا هو الذي يحكم
ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فقد تضمنت هذه السورة
العظيمة اثبات صفات الكمال ونفي النقائص والعيوب من خصائص المخلوقين من
التولد والمماثلة واذا كان منزها عن ان يخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)